الآداب والعلوم في الجزائر خلال الفترة العثمانية

إلى جانب الثقافة الشعبية السائدة سمحت المدارس والزوايا في الجزائر العثمانية بتخريج مجموعة من الكتاب والفقهاء تولوا الخطط الدينية والوظائف التعليمية بالمدن جلهم كان من المذهب المالكي وبعضهم من المذهب الحنفي، فكان لبعضهم مساهمات إيجابية في المحافظة على التراث الإسلامي وعلى إغماء الثقافة العربية بما جمعوه أو صنفوه أو شرحوه من مختلف المعارف الفقهية (فقه، تفسير، قراءات، حديث، توحيد، أصول، معاملات، نوازل، فتاوى) واللغوية والأدبية (نحو، صرف، بلاغة، عروض، القوافي) والفنون العقلية والأدبية (شعر، سير، إخوانيات، قصص، كلام، حساب، طب، فلك)، فكان مجمله استمرارا للفترات الإسلامية السابقة التي أعقبت عصر الموحدين، والتي غلب عليها شروح وملخصات دينية وتصانيف أدبية وتاريخية اتصفت بالإطناب والسجع والتكرار، واستندت إلى الحفظ والرواية والنقل وعر المسائل، كم وردت دون تمحيص أو نقد أو ابتكار أو تجديد، وإن تميز جزء منه بمستوى أدبي وقيمة علمية معتبرة.

أ – الأدب واللغة:

1 – الشعر الصوفي: (الديني):

هو الأكثر تداولا من حيث القصائد التي قيلت في هذا الغرض ولاسيما مدح الرسول (ص) والتّشوق إلى زيارة قبره وإحياء مولده، والتوجه إلى الله في وقت الشّدة، إضافة إلى مدح ورثاء الأولياء الصالحين، حتى خصوه بديوان كامل ومن هؤلاء على سبيل الذكر لا الحصر نذكر ديوان عبد الكريم الفكون وأشعار ابن عمار وموشحات أحمد المانجلاتي "نِلْتُ المُرَام"

2 – شعر الأخوانيات:

وهو نوع من الشعر الذي يشاطر فيه الشعراء بعضهم بعضا في المناسبات ، حيث كانوا يتبادلون النّكت والفخر والرثاء، بالإضافة إلى شعر التلغيز وشعر المُزاح كما فعل أحمد بن سحنون عندما مازح الأمير بن الباي محمد الكبير قبل توليه الحكم عندما قال:

عَسَى اللّيثُ عُثمانَ يُعَذِرهُ ويجري على خُطَّةِ الكِرَمِ

وفي موضوع المدح والفخر ما قاله العياش المغربي في مدح شيخه عيسى الثعالبي في مطلع قصيدة يقول فيها:

إذا غالبتك النّائبات فغالب بفخر فحول العلم عيسى الثعالبي

كما كان شعر الرثاء حاضرا بقوة الرابطة بين الشعراء، وعند وقوع مصاب بأحد الشعراء، تنظم قصائد الرثاء على فقدانه أما بخصوص الرثاء السياسي فيكاد يكون معدوما بسبب النهاية المأسوية لغالب الحكام، وحتى الأبيات التي كتبت على ضريح صالح باي قسنطينة لم يكتب الشاعر اسمه فضلت مجهولة النّسب، وهي الأبيات التي تقول:

ضـــريح لاح أجَّ السعــادة كما عقد الجوهر النضــادة
به باي الزّمـــان أخو المعالي به قد راح (صالحه) رشــادة
أمير عاش في الدنيا سعيدا وعند الموت قد حاز الشهادة

3 – شعر الجهاد:

هو من أغراض الشعر السياسي والعمود الفقري للعاطفة الدينية التي يهدف من وراءه مجابهة غير المسلمين، ودعوة الجزائريين من خلال الدعوة للجهاد لصد الهجمات الإسبانية والبرتغالية على المدن الجزائرية بعد أن وجد في إخوانه العثمانيين السند المعين عند نصرته في صد الأسبان من السواحل على غرار مدينة الجزائر وبجاية ... وغيرها، وبقي العدوان الإسباني ووجوده بوهران حتى النصف الثاني من القرن 18م، فكان هذا الشعر للرمز للجهاد والدعوة إليه، وتجلى ذلك في تهنئة الحكام بالنصر أو تحريض العامة ومقاومة هذا العدوان (الإسباني)، كما ظهر ذلك في شعر الشاعر أقوجيل في تهنيئة الباشا حسين خوجة الشريف بقوله:

جهز جيوشا كالأســـود وسرحن تلك الجواري في عبـاب بور
أضرم على الكفار نار الحرب لا تقلــع ولا تمهلهم بفتــوري
وبقربنا وهـــران ضرس مولم سهل اقتلاع في اعتناء يسير

4 – الشعر الوطني:

وهو نوع من الشعر تغنى به الشعراء في الجزائر العثمانية ومن بين أهم الشعراء في هذا الغرض ؛ أحمد بن سحنون وأبوراس الناصري وأحمد القرومي والطيب المازوري وغيرهم، ومن هؤلاء محمد المستغانمي الذي عنونها بـ"الكوكب الثائر في مدح أمير الجزائر" ويعني بها أيضا الوطن والتي قال فيها:

فدعـني من غرناطـــة وربـــوعها وشنيل فالحسن انتهى للجزائر
فما تفضل الحمراء بيضاء غادة مفرطة بالبـــدر ذات غـــدائر

ومن الشعر المضاد الذي قيل في الأتراك وهو قليل خوفا منهم، والذي وصف فيهم هؤلاء الشعراء الأتراك بأوصاف بشعة واتهموهم بالفحش والشر وحب المال وارتكاب الجرائم،

ومن هؤلاء السعيد المنداسي الذي كان شاعرا متمكنا في اللغة والأدب واشتهر بشعر المدائح النبوية، الذي اعتبر علماء الجزائر المقربين للحكام منافسين له ودراويش، الأمر دفعه للإقامة بالمغرب الأقصى هروبا من الأتراك، ومما جاء في هجائه لهم قوله:

فما دب فوق الأرض كالأتراك مجرم ولا ولدت حواء كالأتراك إنسانا.

5 - الشعر الملحون:

يمثل جزء من التراث الشعبي ورواجه هو دلالة على ضعف الثقافة ا أدبية في البلاد، والسبب في ذلك هو إبعاد اللغة العربية في الإدارة، ولعدم وجود جامعة أو مركزا عتيقا في البلاد، إلا أن الشعر الملحون وثّق للعديد من الحوادث السياسية والاقتصادية والعسكري ة، فهو أقرب إلى الحقيقة من الشعر الفصيح، والذي في غالبيته كان مبتذلا، فقد خاض هذا النوع من الشعر العديد المواضيع كمدح الرسول (ص) والتحريض على المقاومة ووصف المعارك والأحوال الاجتماعية والأزمات الاقتصادية، ورثا ء كبار المشايخ فخدم في كثير منه التصوف والمتصوفين، ومما اشتهر بقول الشعر الملحون يمكن أن نذكر ؛ الأكحل بن خليف المشهور سيدي لخضر بن خلوف في القرن 16م صاحب قصيدة "زاقعة مزغران"، ومحمد بن درمش الشرشالي في القرن 17م، وابن السكويت وبوعلام بن الطيب الشجراري اللذان هجا العثمانيين. ومن شعراء تلمسان في القرن 18م محمد بن مسايب وابن التريكي اللذان اشتهرا بمدح الرسول (ص) وآل بيته رضي الله عنهم.

5 - النثر:

ويشمل كل المقامات والرسائل الرسمية وعقود الزواج والشروح الأدبية والإجازات وغيرها فكانت هذه ا أغراض متفاوتة الاهتمام بين الأدباء في العهد العثماني باستثناء عهد الباشا محمد بكداش والباي محمد الكبير وصالح باي حيث عرف عهدهم إصلاحات علمية وأدبية بارزة الوضوح بسبب جمع العلماء من حولهم وتشجيعهم بالعطاء وتقربهم إلى مجالسهم واستحسان إنتاجهم وتقديره.

مما تميز به الأدب في الجزائر العثمانية كما يبدو بشرح الأعمال الجاهزة كشرح قصيدة نظمها الشارح بنفسه أو قصيدة أو عمل آخر لغيره، ولاسيما في مسائل النحو والصرف والمواعظ والحكم، وممن أشهر ممن سلكوا في هذا المجال؛ أحمد بن سحنون الراشدي وأبو رأس الناصري وأحمد البوني وأبي يعلى وعبد الكريم الفكون. أما في التقريظ (المدح والثناء)

والإجازة والعقود. فأشتهر في التقري ظ أحمد بن عمار، وفي الرسائل بن فكون وأحمد المقري .وأحمد بن عمار أيضا وغيرهم.

ب - العلوم الشرعية:

1 – الدراسات القرآنية:

وجدت الدراسات القرآنية والدينية اهتماما بالغا في المجتمع أثناء وقبل العهد العثماني، وذلك للأثر البالغ لما تمثله هذه الدراسات على الجانب الروحي والثقافي، حيث كانت المحك والبوتقة التي تنصهر فيها العناصر الثقافية الأساسية المكونة للهوية.

1. علم القرآن:

لقد وجد علم القرآن اهتماما كبيرا بين مختلف الأوساط والنخب العلمية، سواء كانت ذو أصول بربرية أو عربية، فالدراسات القرآنية قللت مشكل الهوة التي فرضتها في البداية الظاهرة العرقية، بل أن تطور الدراسات القرآنية كان له أثره في تقريب الفئات الاجتماعية وتسهيل عملية الانصهار فيما بينها.

لقد انتشر علم القراءات على وجه الخصوص عن طريق علماء أجلاء أغلبهم من العنصر البربري، فقد اشتهرت مدارس زواوة التي كانت مقصد طلاب المغرب الإسلامي. وبالرغم من ذلك فإن التأليف في علم القراءات كان ضئيلا، إذا ما قورن بالبعد الروحي والثقافي الذي احتله هذا العلم بين الأوساط العلمية، فعدا مؤلفات محمد المغراوي، فإن القرنين 16 و17 يمران دون إنتاج يذكر، ولولا إنتاج القرن 18م الذي مثله أحمد بن توزنت وأحمد بن ثابت.

2. التفسير:

عرف في العهد العثماني نوعا من التراجع مقارنة بالقرنين السابقين، وهذا التراجع ناتج عن المستوى العلمي، وقلة عدد العلماء، ويبدو أن تفسير الثعالبي في القرن 15م كان آخر حلقة في ازدهار هذا العلم، ولم يأتي بعده فيمثل هذا التفسير عدا "التيسير إلى علم التفسير" وهو في ثلاثة أسفار لأبي رأس الناصري رغم ما تميز صاحبه من ثقافة عامة وسطحية. وهو العمل الذي جاءت بعده أعمال أيضا تميزت بالسطحية بدت في تفسير "إرشاد العقل السليم" لمحمد بن مصطفى وتفسير "شواهد التفتنزاني" للفكون وأيضا تفسير محمد الخروبي، وحاشية يحي الشاوي "الحاكمة" وللأحمد المقري "اعراب القرآن"، و"تفسير غريب القرآن المدني" لمحمد المجاجي.

ولم يعرف علم التفسير انتعاشا إلا في منتصف القرن 16م على يد عمر الوزان الذي تصدر مجالس تدريسه، وأحمد البوني الذي تصدر حركة التأليف، فحين أن عبد القادر الراشدي ورغم شهرته في تدريس التفسير فإنه لم يترك سوى تفسير آية : ((وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا)) من سورة الإسراء.

2 – علم الحديث:

لقد وجدت الدراسات الحديثية في الفترة العثمانية في الجزائر مكانة كبيرة في اهتمامات المؤسسات العلمية حتى أن صحيح البخاري نافس القرآن الكريم من حيث الاهتمام، وظل المرجع الوحيد للدراسات الحديثية جميعا وتقييدا.

أ. علم المصطلح:

إذا كان القرن 16م مرحلة انتقال لم ينبغ فيها سوى عددا محدودا من العلماء، فإن هذا العلم قد عرف حركية تأليف واسعة بعد ذلك افتتحها أحمد المقري تدريسا وتأليفا، كما ينسب لعيسى الثعالبي رجز "مضاعفة ثواب هذه الأمة" وأثرى أحمد بن قاسم البوني هذا المجال بست مؤلفات، وأظهر قوة عارضته في التأليف في مختلف العلوم، أما المذهب الإباضي فقد كان حاضرا من خلال مختصر عبد العزيز الثميني (ت 1223 هـ/1808م) على حاشية مسند الربيع بن حبيب، في حين وضع عبد الرحمن المجاجي عمله الضخم "فتح الباري في ضبط ألفاظ الأحاديث التي اختصرها العارف بالله ابن حمزة من صحيح البخاري".

ب . علم الحديث:

يعتبر عيسى الثعالبي وسعيد المقري وسعيد قدورة وأحمد بن عمار من أشهر الذين روي عنهم الحديث في عهد العثماني، وكان لكل عالم ثبته الغني بالمشايخ والمرويات، إلا أن "إتحاف ردود وإسعاف بمقصد محمود" و"كنز الرواة" لعيسى الثعالبي يعتبران أهم مؤلفات العصر،لسعة علم صاحبه بالحديث، وكثرة إجازاته لعلماء المغرب والمشرق، فكتابه الأول قد خصه لأسانيد مالك في الفقه، إلا أن "كنز الرواة" وأهميته وحجمه غطى شهرة الإتحاف خاصة وأن الكنز هو العمل الذي وضع فيه الثعالبي كل تجاربه ووقته.

ج. علم الإسناد:

لم يكن علم الإسناد آنذاك يمل قيمة علمية لذاته، واقتصرت أهميته على ما حفظه لنا من أسماء الرجال وسير العلماء، ولذلك أصبحت الإجازات تعطى دون قيد أو شرط، مما ساعد على انتشار علم الإسناد واستفادة المدارس الفقهية من ذلك من خلال المؤلفات التي تناولت رواة أحاديث الأحكام. حتى أن علماء القرن 19م غطت مؤلفاتهم إنتاج القرون الثالثة

السابقة، بحيث لا تجد عالما إلا وترك ثبته، وخير دليل على ذلك رحلة أبو رأس الناصري التي تضمنت كراسات مروياته، إحداها في أشياخه سماها "لب أفياخي في تعداد أشياخي".

3- الفقه:

كان لمدارس الغرب وبالضبط مدرسة تلمسان ومازونة وتراثهما الفقهي دورا في الرصيد الذي ميز المجتمع الجزائري بمختلف توجهاته الفقهية، إذا كان لهما سبق الريادة في إثراء ميدان الدراسة الفقهية المالكية، واستمرت هذه الدراسات نفس الحجم والكم الذي كانت عليه قبل العهد العثماني، الذين جلبوا معهم المذهب الحنفي، وعلى الرغم من أن هذا المذهب قد ارتكز في عاصمة الأيالة (مدينة الجزائر) إلا أن التعايش المذهبي الذي ميز المجتمع الجزائري مكن تلمسان من أن تلعب نفس الدول الذي لعبته في توجيه المذهب المالكي، ومكنها أيضا من تخريج فقهاء المذهب الحنفي إلى جانب مدرسة العاصمة، فعكس صورة هذا التعايش المذهبي.

ولم تتمكن مدرسة قسنطينة والعاصمة من منافسة مدرسة الغرب فقهيا، على الرغم من ظهور فقهاء كبار من أمثال سعيد قدورة الذي لم ترق أعمالها إلى مستوى عمل محمد بن الحاج التلمساني (حيا 1179هـ/1765م) في كتابه "ياقوتة الحواشي على شرح الإمام الخراشي على خليل" الذي اعتبر خاتمة المؤلفات الفقهية. أما مدرسة خنقة سيدي ناجي الفقهية ولو أنها لم تكن بحجم مدرسة تلمسان إلا أنه كان لكبار شيوخها مساهمة في الفقه.

وتميز الإنتاج الفقهي وطبع بالتقليد والجمود الفقه في أعمل كبار الفقه في هذه الفترة كالونشريسي والزان والمسبح والأمخضري حيث ظل مختصر ابن الحاجب ومختصر خليل عليه عمدة الدراسات الفقهية طيلة العهد العثماني.

4 –العقائد:

1. علم التوحيد:

كما عاش الحديث على البخاري والفقه على خليل لم يشد علم التوحيد عن ذلك، فقد تراجعت الأصول وتوقف الفكر الديني عند تراث القرن 15م وأصبحت العقيد الصغرى والوسطى والكبرى للسنوسي مرجعا، وبدرجة أقل شرح أحمد بن عبد الله (ت 884ته/ 1469م) عليها المسمى اللامية، إضافة إلى واسطة السلوك لمحمد بن عبد الرحمن الحوضي (ت 910هـ/1504م) التي وضعها صاحبها للصبيان لا لأن يصبح عليها مدار إنتاج قرون بأكملها.

2. علم الكلام:

لقد شكلت مواضيع بعينها مادة دسمة للمناقشات الكلامية. أخذت بعضها الطابع العلمي، وخرج بعضها عن الأطر المعمول بها، مما دفع بالكثير من المؤسسات إلى عدم إدراج علم الكلام في مقرراتها الدراسية.

لقد كانت مسألة الصفات والأسماء وإيمان المقلد في مقدمة المواضيع الخلافية، في الوقت الذي فضل فيه أبو القاسم بن سلطان كان حيا 995هـ/1586م) مهاجمة الطائفية الأندلسية المعروفة بالعكازيين أثناء تواجده بتطوان، كما شكل فن المناظرة على قلته أساس أعمال أحمد الغبريني (ت 930هـ/1523م) ومحمد بن مصطفى أبو السعود وحمزة المقاسي (1245هـ/1829م).

كما لم يخل المجتمع في هذه الفترة من زاهرة التطرف الديني والمغالاة في تكفير العامة بحكم تقليد ومن ألفى هذا الشأن محمد شقرون الوهراني في كتابه الموسوم "الجيش والكمين لقتال من كفر عامة المسلمين". ومن الذين اشتهروا في علم الكلام محمد البوزيدي في القرن 17م أحد علماء قسنطينة الذي كان يدرس عقائد النوسي ومختصر ابن الحاجب الفقي، وكان يقول بأن "المقلد غير مؤمن وأن العامة مختلف في إيمانها" كما كان يقول إن "قدرة الله لا تتعلق بتحيز الجوهر".

وكثيرا ما كانت المناقشات الكلامية في أواخر العهد العثماني تخرج عن علميتها للتحول إلى تبادل السباب والشتائم والانتصار للذات، فعبد القادر الراشدي القسنطيني إتهم بالتجسيم، وتعرض لحملة شرسة من أعدائه، حتى جرد من وظائفه، ونفس الأمر تعرض له يحي الشاوي بعد تأليفه "النبل الرقيق في حلقوم الشاب الزنديق" متهما نور الدين الكوراني بالزندقة وداعيا إلى قتله، فانبرى محمد بن رسول البرنجي لرد الشبهة عن الكوراني في تأليفه "العقاب الهاوي على الثعلب العاوي والنشاب الكاوي للأعشى الغاوي والشهاب الشاوي للأحوال الشاوي".

3. علم المنطق:

لم يتجاوز إنتاج الجزائريين في علم المنطق خلال الفترة العثمانية العشر المؤلفات، سبعة منها حواش وشروح على السلم المرونق لعبد الرحمن الأخضري، ولم يتجاوز ذلك سوى الفكون الذي شرح مختصر السنوسي تحت اسم "الذرة في شرح المختصر" وعبد الرزاق بن حمادوش في "الدرة على المختصر".

ج – العلوم البحثية:

1 – الطب والصيدلة:

بعد دخول العثماني ن للجزائر أفلت العلوم الطبية، ولم يحمل على عاتقهم، ولم ينشئوا ولم مستشفى واحد وظلت المستشفيات حكرا على المسحيين، في الوقت لهتم الباشوات بصحتهم إذ كان لكل واحد طبيبه الخاص يختاره بين الأسرى. بينما كانت العامة عرضة للأمراض والأوبئة، التي أشارت إليها كتب الرحالة خصوصا في الأرياف، فكان أللجو إلى الرقي والتعاويذ والسحر والشعوذة أمر ضروري، ولم يسجل من مظاهر الصحة في الجزائر العثمانية سوى كثرة الحمامات والحجر الصحي.

فلم يكن الطب بأحسن حال من الحالة الصحية السائدة، رغم توفر كتب كبار الأطباء الأقدمون، التي لم يكن لها جدوى، بعد إن اختلط علم الطب بالشعوذة وإصطبغ بروح التصوف التي غلبت عليه، فحوت مؤلفات الفترة طلاسم الروح وأسرار الحكمة. في الوقت الذي آثر بعض المؤلفين تناول الطب النبوي شرحا وتفسيرا اعتمادا على الأحاديث النبوية. وبذلك اختفت الأعمال ا أصيلة التي تناولت الطب كعلم مستقل بأبعاده الصحية عدا عبد الرزاق بن حمدوش في تأليفه "تعديل المزاج بسبب قوانين العلاج" الذي تناول فيه اضطراب الأجهزة التناسلية بشكلها الإكلينيكي والمزاجي، وموسوعته "الجوهر المكنون في بحر القانون".

بخصوص الصيدلة؛ فكانت الأعشاب هي المادة الأولية، حيث نالت اهتماما كبيرا، حيث وضعت لها قواميس رتبت فيها أسماء النباتات والعقاقير والحيوانات والمعادن مصدر الأدوية، أشهرها قاموس عبد الرزاق بن حمدوش، بينما أعتبر أحمد البوني رائد في الوقاية الطبية الذي ألف "مبين المسارب للأكل والطب مع المشارب" الذي فصل فيه أمراض المعدة، وأيضا ما يورث النسيان والبواسير، ووضع الكلى والبرص، كما له تأليف أخرى سماه "أعلام القريحة في الأدوية الصحيحة" الذي تناول فيه أمراض الأنف والأذن والأسنان والأمراض التناسلية والجلدية. أما علم الجراحة فقد زهد فيها الجزائريون، فلم نجد إلا القابلات يشرفن على الحوامل.

2 - علم الفلك:

لقد تحول علم الفلك من الاهتمام بعلم النجوم إلى علم للحروف والأعداد، فكان أقرب إلى الميتافيزيقا، وما كان مفهوما اقتصر على تحديد القبلة واتجاه الرياح، فليس من المقبول مقارنته بإنتاج الأوائل من الفلكيين. لذا ظل كتاب "السراج المنيل" لعبد الرحمن الأخضري خلال الفترة العثمانية في الجزائر مصدرا للأعمال، في الوقت الذي خص فيه بعض

المؤلفين الأدوات الفلكية ببعض المسائل. إلا أن ابن سحنون يعتبر أكبر فلكي في عصره فإلى جانب شرحه عى السراج، وضع تقييدا حول جلب الأفلاك، وآخر في سهام الربط التي تعتبر خليطا من الحروف والأعداد والتصوف. بينما جمع محمد بن الشلاطي في كتابه " معالم الاستبصار بتفصيل الأزمان ومنافع البوادي والأمصار" بين الفلك والجغرافيا، وكذلك ضمنه عجائب العلويات وغرائب السفليات، في حين غلب على الشيخ محمد البرجي في مؤلفه "أثمد البصائر" الحكمة وأسرارها.

ومع ذلك؛ فإن معظم تأليف علم الفلك عبارة عن رسائل صغيرة الحجم ونقول عن كتب قديمة، وخليط بين حقائق الكون وخرافات الإنسان بالعالم العلوي.

3 - علم الجغرافيا:

لم يكن علم الجغرافيا أحسن حظا إذ لم نجد سوى نتف هي أصلا نابعة من الحاجة إلى الرحلة للحج أو طلب العلم، كما هو الحال مع رحلة الحاج بن الدين الأغواطي التي وصف فيها المدن الجزائرية الصحراوية، وفي هذا الإطار يندرج عمل الورتيلاني في رحلته، وما حوته من أخبار طريق الحج ذهابا وإيابا، برا وبحرا، وإشارة عن مواقع المدن ووصف لمنشآتها، وعادات سكانها ونشاطات أسواقها، وآبار مياهها/ مما يصح اعتباره إنتاجا جغرافيا. أما في الجغرافيا الطبيعية لا نجد سوى "معالم الاستبصار بتفصيل الأزمان ومنافع البوادي والأمصار" لمحمد بن علي الشريف الزواوي، الذي خص نصفه للفلك وجاء النصف الثاني في التساقط والأنهار والحرارة والرياح والجبال والزلازل.

3 – علم الفرائض والحساب والعلوم التطبيقية:

ظل علم الفرائض والحساب أسير تراث السابقين، فقد استمرت مدرسة الزيانيين والحفصيين قوية في الحساب خلال القرن 16م، ثم ليخفت بعد ذلك في القرن 17م ليتحول بعدها إلى رسائل كأرجوزة الحسن بن محمد فتحا ومصطفى العنابي في فرائض الفقه الحنفي، وشرح في الفرائض لمحمد بن عبد الرحمن العنابي، بينما وضع الطيب الزواوي أرجوزة "منهج الوصول". وهي الرسائل التي تعبر عن انحدار هذا العلم إلى مستوى الاهتمامات الشعبية بعيدا عن الاهتمامات العلمية التي تتطلبها الأعمال المتخصصة.

بينما يبدو أن لا أحد اهتم بالهندسة سوى عبد الرزاق بن حمدوش في كتابه "فتح المجيب في علم التكعيب" والذي يمثل خلاصة مطالعته لأحد الكتب الأوروبية، وأيضا له

تأليف أخر سماه "بغية الأديب في علم التكعيب"، كما ألف في علم البونبة (المتفجرات) وقام بتجارب ميدانية ضمنها تأليفا خاصا.

4 – علم التاريخ:

خلال الفترة العثمانية تحولت الكتابات التاريخية من الاهتمام بالتاريخ الموسوعي الرسمي إلى التاريخ القبلي الشعبي، وهذا ما دفع بالكثيرين بالإشادة بكثرة الإنتاج دون أن يعني ذلك ازدهار الثقافة التاريخية، حيث تغلب عليها الأدب والتصوف، حتى عزّ العثور على مؤلفات في مستوى إنتاج القرن 16م على قلته. أمام هذا التحول أصبح من الطبيعي أن يختفي التاريخ العام، بل حتى الحوادث التاريخية العامة لم تستهوي علماء تلك الفترة، إذا استثنينا أمد البوني وابن حمادوش وأبو راس الناصري، وهي الأعمال لم ترق إلى تاريخ المقري في "نفح الطيب" على ما فيه من استطراد وحشو.

لقد بدا أن حظ التاريخ المحلي وبالخصوص تاريخ المناطق والقبائل كبيرا، في مقابل غياب الأعمال الوطنية الشاملة، فلم يتناول بالكتابة الرسمية لتاريخ انتصارات العثمانيين سوى "كتاب عروج وخير الدين" الذي يعتبر البداية الفعلية للتاريخ الرسمي (السلطوي) والذي ينسبه لخير الدين نفسه. ورغم ذلك فإن هذه البداية الرسمية للتأريخ للفترة سرعان ما توقفت ولم تعاود الظهور إلا مع استعادة وهران الأولى والثانية، التي كان لها وقعا على حركة كتابة التاريخ، حي تصدرها مجموعة من مؤرخي البلاط كابن ميمون والحلفاوي وابن زرفة والجامعي وابن سحنون وأبو راس الناصري، وابن هطال الذي سجل رحلة باي وهران إلى الصحراء وما حوته من دقة في الأحداث، مما جعلها أقرب إلى الأعمال الأنثروبولوجية الوصفية.

<u>المراجع:</u>

- درقاوي منصور، **الموروث الثقافي العثماني بالجزائر ما بين القرنين (10هـ 13هـ/ 16م -19م) بين التأثير والتأثر**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران كلية العلوم الإنسانية والإسلامية قسم التاريخ وعلم الآثار، السنة الجامعية 2015/2014.
- محفوظ رموم، الثقافة **والمثاقفة في المجتمع الحضري خلال العهد العثماني 1519 – 1830م (دراسة تاريخي أنثروبولوجية)** ، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في التاريخ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، 2002/03/12.

- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي (1500 . 1830)**، دار الغرب الإسلامي بيروت، لبنان، 1998، الجزء الأول والثاني.